مجلة جامعة صبراتة العلمية
Sabratha University Scientific Journal

مجلة علمية نصف سنوية محكمة متخصصة في العلوم الإنسانية

تصدرها جامعة صبراتة بشكل الكتروني

سرت، محاولة لمعرفة تاريخ ظهور الاسم ومعناه*

*Sirte, trying to find out the date of the appearance of the name and its meaning

أ.عبد الله علي الرحيبي

أستاذ مشارك بقسم الآثار، كلية الآداب، جامعة بنغازي.

r_abdullah1950@yahoo.com

رقم الإيداع القانوني بدار الكتب الوطنية:
2017-139

الترقيم الدولي:
ISSN (print) 2522 - 6460
ISSN (Online) 2707 - 6555

الموقع الألكتروني للمجلة:
https://jhs.sabu.edu.ly

سرت، محاولة لمعرفة تاريخ ظهور الاسم ومعناه*

***Sirte, trying to find out the date of the appearance of the name and its meaning**

أ.عبد الله علي الرحيبي
أستاذ مشارك بقسم الآثار، كلية الآداب، جامعة بنغازي.
r_abdullah1950@yahoo.com

ملخص:

تتناول هذه الورقة اسم مدينة من المدن الليبية ألا وهو اسم مدينة سرت، وذلك من خلال محاولة الإجابة عن الأسئلة الآتية: متى ظهر هذا الاسم؟ وماذا كان يعني في بداية ظهوره؟ ومتى أصبح اسمًا لمستوطنة محددة المعالم؟ وهل كان هو الاسم الوحيد الذي أطلق على هذه المستوطنة عبر التاريخ؟ وهل معنى الاسم الذي اقترحه بروكوبيوس مناسب؟ وإن لم يكن كذلك ما هو التفسير المرجح أكثر لمعناه؟

تستعين الورقة في محاولة الإجابة على هذه الأسئلة بمعلومات مهمة وردت في مصادر أدبية، وفي اللغتين الإغريقية واللاتينية، كذلك تتناول هذه الورقة على نحو مختصر مدينة سرت عبر تاريخها الطويل، ذلك التاريخ المؤلف من مراحل صعود وهبوط تواصل بعضها لقرون عديدة تزدهر المدينة فيها حين الصعود، وتتدهور حين الهبوط لدرجة لم يبق من أبنيتها إلا أطلالا يذكرها الرحالة حينما يمرون بها. وحينما بعثت الحياة في المدينة في العصر الحديث لم يكن ذلك في موقعها القديم بل صار إلى الغرب منها بما لا يقل عن خمسين كيلومتر.

الكلمات المفتاحية: المدن الليبية – تاريخ قديم – مدينة سرت

*Sirte, trying to find out the date of the appearance of the name and its meaning

Abstract:

This paper deals with the name of one of the Libyan cities, the name of which is Surt, by trying to answer the following questions: When did this name appear? What meaning did the name have? At what point did the name become that of a well-known settlement? Was it the only name given to this settlement throughout its history? Was the meaning of this name, suggested by Procopius, appropriate and, if not, what is the most likely explanation for its meaning?

In attempting to answer these questions, the paper uses important information obtained from literary sources, and from both Greek and Latin languages. This paper also deals briefly with the city of Surt throughout its deep history - that history consisting of stages of its ascent, due to prosperity, and decline which continued over many centuries. It deteriorates when it goes through a period of decline – the last of which was approximately at the end if the twelfth century and the beginning of the thirteenth century A D - to the extent that only ruins now remain of its building that travelers mentioned as they passed through. When life was revived in the city in the modern era, it was not on the ancient site but within fifty kilometers to the west of it.

Keywords: Libyan cities - ancient history - the city of Sirte.

تتطلب معرفة تاريخ ظهور الاسم والمعنى الذي يحمله العودة إلى المصادر القديمة لمعرفة تاريخ ظهوره اسماً لإقليم ثم صار بعد ذلك يطلق أيضًا على مستوطنة محددة المعالم أطلق عليها اسمان آخران في تاريخها القديم، وهي المستوطنة التي حملت، لا سيما في تاريخها الإسلامي اسم سرت، وهي، حالياً

* ألقيت هذه الورقة في المؤتمر العلمي التاريخي الحادي عشر للجمعية التاريخية الذي عقد في جامعة التحدي حول التاريخ الاقتصادي لليبيا عبر العصور خلال الفترة 28– 30 / 04/ 2009 م، وتمت مراجعتها وتحديثها أخيرًا.

مدينة أثرية تقع شرق مدينة سرت المعروفة حالياً بحوالي خمسة وخمسون كيلومتر على يسار الطريق الساحلي الذي يربط بين الشقين الشرقي والغربي من ليبيا، قبل قرية سلطان بحوالي خمسة كيلومترات.

ومن المعروف أن اسم سرت كان يطلق على الخليج بأكمله، وأن ذلك يعود إلى فترة قديمة تسبق زيارة هيرودوت إلى مصر وليبيا، ففي معرض حديثه عن قصر التيه الذي بني مشرفًا على بحيرة قارون في مصر ذكر: "أن الناس الذين يقطنون هناك أبلغوه بأن مياه البحيرة متصلة بسرت الليبية عن طريق ممر تحت سطح الأرض يمتد نحو الغرب على طول الهضاب أعلى ممفيس"[1] وهذا يعني أن الإقليم كان معروفاً لدى المصريين باسم سرت منذ زمن سابق على زيارة هيرودوت، ربما بقرون عديدة يدعم ذلك احتمالية وجود صلة بين اسم نوع من الشعير معروف لدى الفراعنة باسم "سرتي" واسم سرت التي ربما كانت المصدر الأول الذي عرف المصريون منه هذا النوع من الشعير[2] فنسبوه إليها. إن معرفة المصريين لاسم سرت منذ عصور قديمة سابقة على زيارة هيرودوت ليس أمراً مستغرباً فالإقليمان متجاوران ومن البدهي أن التواصل بين سكانهما كان قائمًا منذ أن ظهرت الحاجة إلى ذلك.

إن معرفة اسم سرت في الإقليم المصري تعني، بالطبع، معرفته في إقليم المدن الخمسة المتاخم لخليج سرت منذ فترة قديمة، ومرة أخرى يزودنا هيرودوت بالدليل على ذلك حين حديثه عن ليبيا في ثلاث مناسبات مختلفة: يقول في الأولى عند حديثه عن مصدر نهر النيل: "إن إيتارخوس الملك الآموني أبلغه أن بعضًا من النسامونيين الذين يسكنون في سرت والبلد الواقع إلى الشرق منها بقليل..."[3]، ويقول في الثانية عند حديثه عن المنطقة التي يوجد فيها نبات السلفيوم: "إنها تمتد من جزيرة بلاتيا[4] حتى مدخل خليج سرت"[5] ويقول في الثالثة عند حديثه عن إقليم قبيلة البسيلي: "أنه يقع كلية داخل خليج سرت".[6]

---

[1]- Herodotus, the Histories: translated by Aubrey de Selincourt, Revised, with an introduction and notes by A. R. Burn, Penguin Books, 1977, Book 2, p. 141.

[2] عبد الطيف واكد، وحسن مرعي: واحات مصر، الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو – مصرية، القاهرة، 1957، ص.426، ووفقاً للمؤلفين فإن شعير "سرتي" هو نوعاً من الشعير منفصل الغلاف يعرف حالياً باسم "الشعير النبوي".

[3] Herodotus, ibid, p. 329.

[4] جزيرة بلاتيا هي جزيرة بمبا الكائنة في خليج بمبا الكائن قبالة قرية التميمي بين مدينتي طبرق ودرنة، ليبيا.

[5] Herodotus, Op. cit.

[6] Op.cit.

كذلك يمكن العودة، بخصوص هيرودوت Herodotus إلى الترجمة العربية التي أنجزها الدكتور محمد المبروك الدويب للكتاب الرابع من كتب هيرودوت: (الكتاب السكيثي والكتاب الليبي)، ترجمة د. محمد المبروك الدويب: جامعة قاريونس، بنغازي، ط 1، 2003، ص. 117، و 119.

ويقول بروكوبيوس، في محاولة منه لتفسير معنى الاسم، أن الاسم يوناني الأصل يعني "الجر"، أو "الحبل الذي يجر به" إشارة إلى صعوبة الإبحار في خليج سرت،[7] إلا أن ذلك مستبعد لأن صعوبة الإبحار، بمختلف صورها، لا توجد في خليج سرت فحسب، ولكنها توجد في أجزاء أخرى من البحر الأبيض المتوسط يعرفها البحارة الإغريق جيداً إلا أنهم لم يطلقوا عليها اسم سرت. إن الصعوبة الفعلية في خليج سرت ليست في البحر ولكنها في البر المتاخم له، فهو، في أغلبه، صحراء جرداء تكثر فيها الكثبان الرملية والسباخ الكثيرة التي تشكل – في مجملها – خطراً قاتلا على السالك لدروبها، مسافراً كان أو بحاراً ألجأه إليها تعطل سفينته أو قاربه. ويظهر الاسم "سرت" عند البحث عن معناه في اللغتين الإغريقية واللاتينية إنه، في الأولى، اسماً لخليجين منخفضين على الساحل الليبي، يعنى مجازيًا "الدمار":

I. The Syrtis (Surtis), name of two large shallow gulfs on the coast of Libya. II. Metaph., destruction.

وتظهر الكلمة التي تعني حبل الجر مختلفة في حروفها فهي في المعجم على النحو الآتي:

Surtys, cord for drawing with, rein.

ويعنى اسم سرت في اللغة الثانية (اللاتينية) ركام رملي كبير بجانب تل أو مياه ضحلة، ويعني أيضًا الوعث، أي الرمال الرخوة صعبة السلوك، خاصة تلك التي تقع على ساحل شمال إفريقيا، سرت الكبير (حالياً السدرة)، وسرت الصغير (حالياً قابس): الساحل قبالة سرت.

Syrtis, a sandbank, a quicksand; esp. one on the coast of Northern Africa, including Syrtis Major (now Sidra), and Syrtis Minor (now Cabes): The coast opposite the Syrtis.

وبالنظر إلى ما سبق قوله من المرجح أن كلمة سرت تعود في الأصل إلى لغة محلية قديمة ارتبطت في أذهان البحارة الإغريق والرومان بالخطر القاتل الذي تمثله الطبيعة الصعبة للمنطقة المقابلة للبحر على من أجبرته ظروف معينة على الالتجاء إليها وبالتالي نقلها هؤلاء البحارة منذ تاريخ قديم إلى اللغتين المذكورتين سابقاً لتعبر عن ما سبق ذكره.

ويقود ما سبق ذكره إلى اقتراح أن كلمة سرت ربما تعني "خليج" وفقًا للغة قديمة كانت معروفة لدى سكان ليبيا القدماء، لا سيما سكان هذا الخليج، يدعم هذا الاقتراح ظهوره، في المصادر الكلاسيكية، اسماً

[7] -Procopius, Building, VII, VI, iii, pp. 371-2;

خشيم، علي فهمي: نصوص ليبية، الطبعة الثانية، دار مكتبة الفكر، طرابلس، 1975، ص.179179؛

Goodchild, R. G., "Medina Sultan (Charax-Iscina-Sort)" Libya Antiqua, I, 1964, pp. 99-106.

Reynolds, J., Libyan Studies, Selected Papers of the Late Goodchild, R. G., Paul Elek, London, 1976, pp. 133-142;

جويس رينولدس: دراسات ليبية (مواضيع مختارة كتبها عن آثار ليبيا قودتشايلد. ر. ج)، ترجمة عبد الحفيظ الميار، وأحمد اليازوري، مركز جهاد الليبيين (35)، طرابلس، 1999.

لخليجين في الإقليم نفسه الذي كان يسمى قديماً ليبيا: سرت الكبير (الخليج الكبير) Syrtis Major، وهو خليج سرت الحالي وسرت الصغير (الخليج الصغير) Syrtis Minor وهو خليج قابس الذي يقع في تونس الشقيقة حالياً. ومن المعروف أن سكان الوطن العربي لا سيما ليبيا (المغرب العربي)، وبالتحديد سكان المنطقة الممتدة من خليج سرت إلى خليج قابس كانوا ومازالوا يشكلون تقريبًا شعبًا واحدًا يشترك في اللغة وفي الثقافة وفي التاريخ.

ويعود أقدم ذكر لمستوطنة في هذا الجزء من الإقليم إلى العهد الفينيقي، إذ يذكر سترابون مكانًا يقول: إن اسمه "خاراكس Charax" كان القرطاجيون يستعملونه محطة تجارية يجلبون إليه النبيذ ويشحنون منه مقابل ذلك السلفيون "السلفيوم" وعصيره الذي يُجلب سراً من كيريني Cyrene.[8] ومن الطبعي أن يتبادل فيه السكان أيضًا ما يحتاجون إليه من إنتاج بعضهم بعضا، أو ما يجلبونه من مناطق أخرى عبر طرق القوافل العديدة أو عبر الميناء المجاور لها. ويرجح أن كلمة "خاراكس Charax" تعني "سوق"، وهذا ينطبق تمامًا على خاراكس التي يتحدث عنها سترابون. وبتتبع إمكانية وجود مثل هذا الاسم في الشق الشرقي من الوطن العربي الذي قدم منه الفينيقيون يحملون معهم حضارة المشرق المتقدمة كما قدم منه غيرهم من الجماعات البشرية عبر فترات مختلفة من التاريخ أتضح وجود مستوطنة أخرى في جنوب العراق اسمها خاراكس ميسين Charax Messene،[9] يذكرها ابن الفقيه حرفيًا باسم كرخ ميسان،[10] مما يعني أن كرخ[11] هي الكلمة المقابلة لخاركس، وإنها تعني سوق، أي سوق ميسان يؤكد ذلك قول ابن منظور: "إن الكرخ سوق ببغداد وهي كلمة نبطية"[12] الأمر الذي يعني أنها عربية الجذور[13]. وتجدر الإشارة إلى أن اللغة النبطية

---

[8]– سترابون: الكتاب السابع عشر (وصف ليبيا)، ترجمة د. محمد المبروك الدويب، جامعة قاريونس، بنغازي، ط 1، 2003، ص ص.113–115؛ خشيم، علي فهمي: م. س، ص ص.83–84.

[9]- Thomson, J. O., Everyman's Classical Atlas, London: J. M. dent &Sons Ltd, 1961, p. 68. Map, P. 24.

[10]– ابن الفقيه، أبي بكر أحمد محمد الهمداني (ت 291/ 903): مختصر كتاب البلدان، تحقيق: م. جي. دي قوج، ليدن، 1885، ص. 198.

[11]– نبهني الدكتور عبد الله أحمد عبد الله، في الحقيقة، إلى احتمالية إن خاركس تقابل في اللغة العربية الكرخ المعروفة في الشق الشرقي من الوطن العربي في جلسة جمعتنا في سرت في شتاء سنة 1990 حينما كنا نعد معاً للموسم الأثري الأول من مشروع مسح الأودية الليبية.

[12]– ابن منظور: لسان العرب المحيط، كلمة (كرخ).

[13]– النبط عرب قدماء يعود تاريخهم إلى قرون عديدة قبل الميلاد كانوا منتشرين في المشرق العربي من اليمن جنوباً إلى عُمان والبحرين شرقاً وإلى العراق والشام شمالاً، بعضهم كان يفلح الأرض في المناطق التي تتوافر فيها المياه مثل العراق وغيره، وبعضهم أحترف التجارة كما في المنطقة الشمالية الغربية من الجزيرة العربية التي كانت تسمى "العربية الحجرية أو الصخرية"، كتبوا بالخط الآرامي، ووجدت كتاباتهم في مناطق كثيرة من المشرق العربي بل تعداه إلى الشق الغربي منه حيث وجدت في مصر أيضاً، للمزيد

كانت بعض من سكان ليبيا الحالية، يقول ياقوت الحموي، في معرض حديثه عن طرابلس: "... وحولها أنباط، وفي بربرها من كلامه بالنبطية في قرارات في شرقيها وغربيها.."[14]. ولعله من المفيد ذكر وجود عدة بلدات أخرى في العراق مسبوقة بكلمة كرخ مثل كرخ جدان، وكرخ لاذان، وكرخ يزدين.[15]

ويبدو أن استقرار ما نمى حول هذا السوق (الكرخ) أوصله إلى مستوى مستوطنة الأمر الذي جعل بطليموس يسميه "قرية خاراكس"،[16] ثم اختفى اسم خاراكس (الكرخ) وظهر اسم "أسكينا" أو "أسينا"، في سجلات المسالك الرومانية،[17] ولا نعرف على وجه الدقة متى اختفى هذا الاسم هو الأخر، وأغلب الظن أن ذلك كان أثناء العهد الروماني نفسه، تقريبًا في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الميلاديين حينما أضمحل النفوذ الروماني على إقليم سرت نتيجة لثورات السكان العنيفة بقيادة قبيلة لواتة التي تسببت غاراتها في دمار رهيب لإقليم لبدة، وأفشلت حملات رومانية كثيرة منها الحملة التي وجهها الإمبراطور "ماكسيميان" ضدها في خليج سرت، ولم يتمكنوا من دحرها إلا بعد خسائر فادحة[18]، وتمكنت في إحدى المعارك من قتل نائب القنصل "كورنيليوس لينتولوس" سنة 7 أو 8 م.[19]

ومن المرجح أن المستوطنة تأثرت كثيرًا بتلك المعارك الدامية ضد الاحتلال الروماني الأمر الذي ربما تسبب في إرجاعها إلى مجرد سوق موسمي كما كان حالها في الفترة الفنيقية من تأسيسها، ولم نعد نسمع غير اسم سرت المعبر عن الإقليم الذي صار المعقل الرئيس للثورات الشبه متواصلة ضد الوجود

من المعلومات. جواد علي جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثالث، دار العلم للملايين، بيروت، دار النهضة، بغداد، الطبعة الثالثة، 1980م، ص. 5 وما بعدها.

[14] ياقوت الحموي (ت 627 / 1229): معجم البلدان، المجلد الثالث، مكتبة خياط، شارع بلس، بيروت، فقرة طرابلس الغرب.

[15] – ماري بن سليمان، أخبار بطاركة كرسي المشرق، من كتاب المجدل، مكتبة المثنى، بغداد، ص. 18، 29، 62، 99، 137.

Maris Amri Et Slibae, De Patriarchis Nestorianorum Commentaria, ex Codicibus Vaticanis, edidit al Latine Raddidit, Henricus, Rome Excudetat C. De Luigi, 1889 A. D.

[16] -Ptolemy, Geography, trans: E. L. Stevenson, New York, 1932, pp. 96;

بطوليميوس، كلاوديوس: جغرافية ((وصف ليبيا (قارة أفريقية) ومصر)) ترجمة د. الدويب، محمد المبروك: جامعة قاريونس، بنغازي، ط 1، 2004، ص.44.

[17]- Goodchild, R. G., Ibid. p. 101.

[18] Haynes, D. E. L., An archaeological and Historical guide to the Pre-Islamic Antiquities of Tripolitania, 4th edition , 1981, pp. 57-58.

[19] Desanges, J., Un drame Africain Sous Auguste, Le meurtre du proconsul L. Cornelius Lentulus par les Nasamons. Extrait du; Hommages a Marcel Renard, ii, Collection Latomus, vol. 102, Pruxelles 1968, pp. 199-211.

مع الشكر للأستاذ أندريه لاروند الذي زودني بنسخة من الموضوع، والشكر للدكتور جمعة عطية المحفوظي الذي تكرم بنقله إلى اللغة العربية، والموضوع لم ينشر بعد.

الروماني ثم البيزنطي من بعده، فقد ذكرت سرت في ملحمة كوريبوس حول الحرب الليبية البيزنطية (544-548م) ثلاث عشرة مرة، واصفًا المقاتلين أحيانًا بأنهم جند سرت، أو الجيش السرتاوي، أو قوات سرت، وأحياناً أخرى بأنهم من القبائل السرتية، أو من شعب سرت، أو من منطقة سرت،[20] ويدعم ذلك أيضًا مخاطبة بروتين، أحد القادة الليبيين في الحرب الليبية البيزنطية، لرجاله الذين أنهكتهم الحرب محرضاً إياهم على التفاني في القتال لطرد الغزاة الذين اغتصبوا الأراضي الخصبة في الإقليم بقوله:

"أيها الجنود التعساء الذين لم يسبق لكم أن انسحبتم مهزومين... يا رجال قبيلة لواتة ذوي البأس والصلابة... ألا تشعرون بالعار وأنتم تتخلون عن الحقول؟ أيتها البسالة، أيتها القلوب التي تتدفق رجولة، هل تريدون العودة إلى الصحاري الجرداء؟ هل تركضون هكذا لتنعم أبصاركم برؤية سرت الساخنة؟[21]

ومن المرجح أن اسم المستوطنة كان خاراكس سرت "كرخ سرت" أي "سوق الخليج"، وفقًا لما سبق قوله، على الأرجح، ربما لأنه الأقدم في الإقليم، إن لم يكن الوحيد حيث أقتصر سترابون على ذكر كلمة السوق منه فقط، ربما لأنه لم ير فيه أكثر من ذلك، وقرنه بطليموس الذي كتب بعد سترابون بأكثر من نصف قرن[22] باسم قرية، ربما بسبب نمو الاستيطان حوله أكثر منه أيام سترابون، كما سبق القول.

وفيما يتعلق بموقع خاراكس "الكرخ" فإن قود تشايلد يقول: يجب أن نضع في الحسبان عند البحث عن ذلك السمة المتواضعة للأسواق القديمة في إقليم طرابلس، ولابد أن موقعها كان مجاورًا للبحر، وبالتالي فهي إما شمال المدينة الحالية، أو قرب البحيرة الكبيرة الكائنة إلى الشرق من المدينة بحوالي خمسة كيلومتر التي يقترح الأخوان بيشي، وكذلك شيراتا أنها كانت تمثل ميناء المدينة.[23]

وفيما يتعلق بأسكينا يقول قود تشايلد: لا نعرف عنها شيئا سوى أن سجلات الطرق الرومانية تحدد مكانها عند موقع سرت تقريبًا، وبينت التحريات الأثرية التي أجراها قودتشايلد في المنطقة وجود بقايا آثار كثيرة لجدران عديدة موزعة إلى الغرب من مدينة سرت الإسلامية وإلى الجنوب منها، توحي بأنها تمثل بقايا

---

[20]– كوريبوس فلقيوس (القرن السادس الميلادي): ملحمة الحرب الليبية الرومانية، ترجمة وتحقيق د. محمد الطاهر الجراري، مركز دراسات جهاد الليبيين، طرابلس، 1988؛ ذكرت سرت في الصفحات الآتية من المرجع السابق نفسه: 104، 106، و116، و124، و131، و 134، و 135، و136، و145، و150، و166، و168، و197.

[21]– م. س. ن، ص ص.111– 112.

[22]– ولد سترابون في أماسيا التي تقع في إقليم بونتوس في آسيا الصغرى فيما بين 66 و63 ق.م، وتوفى فيما بين 19و21م، وكان في مصر فيما بين 25و19ق.م. (سترابون: الدويب، م. س، ص.13)، وولد بطوليميوس في مصر، وأشتهر بها حينما عاش في الإسكندرية فيما بين 127و148م، وربما كانت ولادته ووفاته فيما بين 90 و168م أو 100و170م. (بطوليميوس، كلاوديوس: الدويب، م. س، ص. 15).

[23]- Goodchild, Ibid. pp. 99-100.

"أسكينا" التي يقترح أن مركزها يقع تحت المدينة الإسلامية.[24] وكما ذكر سابقًا فإن تقهقر النفوذ الروماني عن إقليم سرت في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الميلاديين بفعل ثورات السكان المتكررة، أدى، على الأرجح، إلى انتهاء مدينة أسكينا واختفاء اسمها، في هذه الفترة أيضًا.

وأغلب الظن أن المدينة كان لها اسمان، "أسكينا" و"سرت"، الأول رسمي حديث أقرته السلطة الرومانية الحاكمة، والأخر قديم موجود قبل السيطرة الرومانية على المنطقة، وبالتالي يمكننا القول أن اسم سرت أصبح هو الاسم الوحيد للمدينة، بعد تقهقر النفوذ الروماني عنها إلا أنه غير مسبوق بكلمة كرخ "سوق"، إذ لم تعد المستوطنة سوقاً فحسب، ولكنها أصبحت مدينة يزاول فيها سكان مستقرون أنشطة اقتصادية متعددة، إذ من المعروف أن هناك قرى ومدنًا كثيرة في مختلف أرجاء العالم بما فيه الوطن العربي كانت في الأصل أسواقاً تتبادل فيها مختلف أنواع البضائع، ثم أصبحت على نحو تدريجي مستوطنات تعج بالسكان، اختفت منها، في أحيان كثيرة، كلمة سوق وبقي الاسم المصاحب، لاسيما، حينما أصبحت مدناً كبيرة تعددت فيها الأنشطة الاقتصادية، بحيث لم تعد كلمة "سوق" صفة معبرة صالحة للاستعمال.

وبالنظر إلى استقلال سكان خليج سرت شبه التام أثناء الحكم البيزنطي، لا سيما في الجزء الواقع منه غرب بوريوم (البريقة حالياً)[25] يرجح استمرار اسم سرت في التداول بين السكان إلى أن جاء الفتح الإسلامي الذي أعتمده اسماً رسمياً للمدينة، إذ يرد أقدم ذكر لسرت اسماً لمستوطنة، حسب علمنا، لدى ابن عبد الحكم حينما ذكر "أن بسر بن أرطأة توجه سنة 26 هـ / 646م إلى مغمداش من سرت".[26]

ولمعرفة قصة انتقال اسم سرت ليصبح اسمًا للمدينة الحالية التي تقع غرب المدينة الأثرية بحوالي خمسة وخمسون كيلومتر لابد للباحث من التطرق، ولو على نحو مختصر، إلى أسباب تدهور أحوال المدينة القديمة التي جعلتها، في نهاية المطاف، أثرًا بعد عين،[27] وهي تنحصر في رحيل الدولة الفاطمية من تونس إلى مصر وما صاحب ذلك من تحول اهتمام الفاطميين نحو بلاد والشام كون الطريق المؤدي إلى بغداد عاصمة الدولة العباسية التي يشكل احتلالها الهدف الفاطمي الأخير يقع ضمن أراضيه، وهذا، بالطبع، أفقد ليبيا أهميتها السابقة لا سيما الجزء الشمالي منها، فضلا على الصراع الدائر بين الزيريين وقبيلة زناتة، وبعد ذلك بين الزيريين والفاطميين، وتعاظم خطر الفرنجة والنورمانديين، وكذلك الجفاف الذي كان يضرب الإقليم من سنة إلى أخرى.

---

[24]- Ibid. p.106.

[25]- Jones, A. H. M., "Frontier Defense in Byzantine Libya" Libya in History, ed. F. Jadd Allah, University of Libya, Faculty of Arts, Benghazi, 1968, pp. 289-99.

[26]– ابن عبد الحكم (ت 870/257): فتوح مصر وأخبارها، نشر تشارلز توري، مطبعة جامعة ييل، نيو هفن، 1922، ص. 194.

[27] تناول الكاتب موضوع تدهور مدينة سرت في موضوع له عن مدينة سرت الأثرية (ظهورها، وازدهارها، وتدهور أحوالها) نشر في كتاب عنوانه: أفريقيا / إفريقية والمتوسط الأوسط، من العصر القديم إلى العصر الوسيط، المبادلات والتثاقف، نصوص جمعها وأعدها للنشر محمد حسن، ومراد عرعار، جامعة تونس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2020، ص ص. 205–206.

وتعود بداية ما سبق طرحه إلى أواخر القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجريين / العاشر والحادي عشر الميلاديين بسبب سوء السياسة الفاطمية بداية من عهد الخليفة الحاكم بأمر الله المسؤول الأول عن تدهور الأحوال الأمنية في إقليم برقة والأقاليم الأخرى المجاورة نتيجة لإقدامه على ذبح وفد قبيلة بني قرة في الإسكندرية،[28] تلك القبيلة التي كانت تقيم في إقليم برقة الأمر الذي جعلها تنتقم لوفدها المغدور به باعتراض الهدايا المتبادلة بين الفاطميين وبني زيري خلفائهم في حكم المغرب أدى إلى تدهور الأوضاع الأمنية في الإقليم أثر سلبًا على الوضع المستقر للإقليم، وانشغال بني زيري خلفاء الفاطميين في حكم أفريقية والمغرب بمشكلة تثبيت نفوذهم المهدد، مما حصر نفوذ النظامين السياسيين في مصر وتونس داخل دائرتين تقع ليبيا بينهما، وأدى ذلك إلى فراغ سياسي كامل تقريباً في ليبيا بصفة عامة وفي خليج سرت بصفة خاصة، فضلا عن احتمال مساهمة غارة بحرية مفاجئة من إحدى القوى المسيحية المعادية (النورمانديين، والفرنجة) التي بدأت نشاطها ضد المدن الساحلية الإسلامية في هذه الفترة من التاريخ. ونتيجة لتدهور الأوضاع الاقتصادية والسياسية في الوطن العربي بصفة عامة، وإمكانيات منطقة سرت المحدودة، يحتمل أن المدينة اندثرت كلية في نهاية القرن السادس وبداية القرن السابع الهجريين/ نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر الميلاديين، وغطتها الرمال، كما غطيت قبلها الكرخ الفينيقية، وأسكينا الرومانية حينما تعرضتا لظروف مشابهة، ولم يعد هناك من شيء يشد الانتباه في منطقة سرت بصفة عامة غير قصور ذكرها بعض من الحجاج في طريق ذهابهم إلى مكة المكرمة وعودتهم منها.

وحينما انضوت ليبيا تحت الحماية العثمانية[29] قدر المسؤولين في طرابلس أهمية منطقة سرت كونها حلقة وصل بين الشقين الشرقي والغربي من البلاد يجب، تبعًا لذلك، أن تصلها سلطة الدولة لتفرض بها سيادة القانون وتؤمن بذلك سبل الاتصال البري عبر أراضيها، ويفهم من حديث العياشي[30] عن منطقة سرت أنه، عند مروره بها سنة 1662/1073، كان بها حاكم يدعى عبد الرحمن الجبالي (سيد روحه) معين من قبل السلطات العثمانية في طرابلس ليس في موقع سرت القديمة، ولكن إلى الغرب منها بحوالي 55 كم في مكان يدعى الزعفران في المكان نفسه الذي كانت تشغله مغمداش زمن الفتح الإسلامي وبعده بقرون عديدة،

---

[28]– قام الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله بقتل أعضاء وفد قبيلة بني قرة الذي ذهب إلى الإسكندرية سنة 394هـ / 1003م لتوضيح جوانب معينة تتعلق باتهامهم بإفشال حملة يحي بن علي الأندلسي لأخذ طرابلس وقابس الأمر الذي أدى إلى إقدام القبيلة على اعتراض الهدايا المتبادلة بين الفاطميين في مصر وبني زيري في تونس وأدى ذلك إلى تدهور الوضع الأمني في الإقليم وبداية العد التنازلي للحياة الآمنة المستقرة التي نعم بها منذ الفتح الإسلامي له. للمزيد من المعلومات يراجع موضوع "مدن ليبية ازدهرت ثم اندثرت في القرون الوسطى، محاولة لمعرفة السبب" المنشور في مجلة منتدى العلوم، العدد السادس، ديسمبر 2018، ص. 16 وما بعدها.

[29] نقلت هذه الفقرة الأخيرة من موضوع للكاتب نفسه عن مدينة سرت الأثرية (ظهورها، وازدهارها، وتدهور أحوالها)، الوارد ذكره في هامش 27 في هذه الورقة، ص ص. 205–206.

[30] محمد يوسف نجم / إحسان عباس: ليبيا في كتب الجغرافيا والرحلات، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، 1968 م، ص. 246.

استطاع المحافظة على الأمن في الإقليم، تحقق به نوع من الاستقرار أدى إلى انتعاش اقتصادي، وتيسر الحركة البرية بين مشرق الوطن العربي ومغربه، الأمر الذي شجع على الاستيطان في منطقة سرت، إذ أنها كما يقول العياشي: "من أخصب البلاد ذات مزارع كثيرة بالبعل، وعربها أهل رفاهية إلا أن الجور أجلاهم عن بلادهم وشتت شملهم، إلا أن أمرهم كاد ينتظم في هذه الأواخر على يد أميرهم سيد روحه"[31] وصارت بالتالي من المناطق المعروفة التي يصل إنتاجها إلى مصر وغيرها من البلدان.[32] ثم بنيت قلعة في الموقع نفسه سنة 1842عرفت باسم قصر الزعفران، يقول الأشهب أن الشيخ علي الإطيوش هو الذي بناه حينما عينته السلطات العثمانية في طرابلس قائم مقامًا على سرت[33] وبالتالي صار هذا القصر (قصر سرت) مقراً للسلطة العثمانية في المنطقة، وصارت هذه القلعة التي أجرى عليها الاحتلال الإيطالي إصلاحات معينة سنة 1912هي نواة مدينة سرت الحديثة.[34]

المصادر والمراجع:

أولا العربية:

1. ابن عبد الحكم (ت 870/257): فتوح مصر وأخبارها، نشر تشارلز توري، مطبعة جامعة ييل، نيو هفن، 1922.
2. ابن الفقيه، أبي بكر أحمد محمد الهمداني (ت 291/ 903): مختصر كتاب البلدان، تحقيق: م. جي. دي قوج، ليدن، 1885.
3. بطوليميوس، كلاوديوس: جغرافية ((وصف ليبيا (قارة أفريقية) ومصر)) ترجمة د. الدويب، محمد المبروك: جامعة قاريونس، بنغازي، ط 1، 2004.
4. الجبرتي، عبد الرحمن: تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، 2، دار الجيل، بيروت.
5. خشيم، علي فهمي: نصوص ليبية، الطبعة الثانية، دار مكتبة الفكر، طرابلس، 1975.

---

[31] م. س. ن، ص. 215.

[32] والجدير بالذكر إن إقليم سرت من الأقاليم المهمة اقتصاديًا، لا سيما في الثروة الحيوانية، إذ من المعروف أن مصر كانت تعتمد اعتمادًا كبيراً في اللحوم على ما يصلها من غنم، وإبل برقة وسرت، فضلا على كبريت سرت، وهي الممول لهما بالأقمشة، والملف، وجلد الجاموس، وغير ذلك من منتجات مصر الأخرى التي يحتاجها سكان الإقليمين. ومما يؤكد صلة سكان خليج سرت الوثيقة بمصر في العهد العثماني قول الجبرتي أن سرت كانت إحدى المناطق التي جاءت منها مراسلات للشيخ أبو الفيض السيد محمد بن محمد الشهير بمرتضي الحسيني الزبيدي الحنفي (1145- 1204هـ / 1732- 1789م)، ويقول أيضاً إن بلاد سرت هي الأخرى بعثت بطرائفها للشيخ الزبيدي الحنفي فضلا على الهند وبلاد اليمن.

الجبرتي، عبد الرحمن: تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، 2، دار الجيل، بيروت، ص ص.108- 114.

[33] الأشهب، محمد الطيب: برقة العربية بين الأمس واليوم، ط1 ، 1946، هامش 2، ص. 139.

[34] Goodchild., ibid. p. 102.

6. الرحيبي، عبد الله: ""مدن ليبية ازدهرت ثم اندثرت في القرون الوسطى، محاولة لمعرفة السبب" مجلة منتدى العلوم، العدد السادس، ديسمبر 2018.

7. رينولدس، جويس: دراسات ليبية (مواضيع مختارة كتبها عن آثار ليبيا قودتشايلد. ر. ج)، ترجمة عبد الحفيظ المير، وأحمد اليازوري، مركز جهاد الليبيين (35)، طرابلس، 1999.

8. سترابون: الكتاب السابع عشر (وصف ليبيا)، ترجمة د. محمد المبروك الدويب، جامعة قاريونس، بنغازي، ط 1، 2003.

9. الأشهب، محمد الطيب: برقة العربية بين الأمس واليوم، ط1 ، 1946.

10. كوريبوس فلقيوس (القرن السادس الميلادي): ملحمة الحرب الليبية الرومانية، ترجمة وتحقيق د. محمد الطاهر الجراري، مركز دراسات جهاد الليبيين، طرابلس، 1988.

11. ماري بن سليمان، أخبار بطاركة كرسي المشرق، من كتاب المجدل، مكتبة المثنى، بغداد،

Maris Amri Et Slibae, De Patriarchis Nestorianorum Commentaria, ex Codicibus Vaticanis, edidit al Latine Raddidit, Henricus, Rome Excudetat C. De Luigi, 1889 A. D.

12. محمد حسن، ومراد عرعار: "العصر الوسيط، المبادلات والتثاقف"، جامعة تونس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2020.

13. محمد يوسف نجم/ إحسان عباس: محمد يوسف نجم/ إحسان عباس: ليبيا في كتب الجغرافيا والرحلات، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، 1968.

14. 41- هيرودوت: (الكتاب السكيثي والكتاب الليبي)، ترجمة د. محمد المبروك الدويب، جامعة قاريونس، بنغازي، ط 1، 2003.

15. واكد، عبد الطيف، وحسن مرعي: واحات مصر، الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو – مصرية، القاهرة، 1957.

16. ياقوت الحموي (ت 627 / 1229): معجم البلدان، المجلد الثالث، مكتبة خياط، شارع بلس، بيروت.

ثانياً الأجنبية:

1- Desanges, J., Un drame Africain Sous Auguste, Le meurtre du proconsul L. Cornelius Lentulus par les Nasamons. Extrait du; Hommages a Marcel Renard, ii, Collection Latomus, vol. 102, Pruxelles 1968.

2- Goodchild, R. G., "Medina Sultan (Charax-Iscina-Sort)" Libya Antiqua, I, Department of Antiquities, Tripoli, 1964.

3- - Haynes, D. E. L., An archaeological and Historical guide to the Pre-Islamic Antiquities of Tripolitania, 4th edition, 1981, Aziende Topografiche, Eredi Dotti. G. Bardi, Rome.

4- Henry George Liddle & Robert Scott, Greek-English Lexicon, New ninth edition 1940, New Supplement added 1996, Clarendon Press, Oxford.

5- Herodotus, the Histories: translated by Aubrey de Selincourt, Revised, with an introduction and notes by A. R. Burn, Penguin Books, 1977.

6- Jones, A. H. M., "Frontier Defense in Byzantine Libya" Libya in History, ed. F. Jadd Allah, University of Libya, Faculty of Arts, Benghazi, 1968.

7- Procopius, Building, VII, The Loeb Classical Library, 1954.

8- Reynolds, J., Libyan Studies, Selected Papers of the Late Goodchild, R. G., Paul Elek, London, 1976.

9- Thomson, J.O., Everyman's Classical Atlas, London: J. M. dent &Sons Ltd, 1961.